مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التصويت البريدي وزيادة المشاركة الانتخابية: التجارب الناجحة والدروس المستفادة عراقياً

عبد العزيز عليوي العيساوي

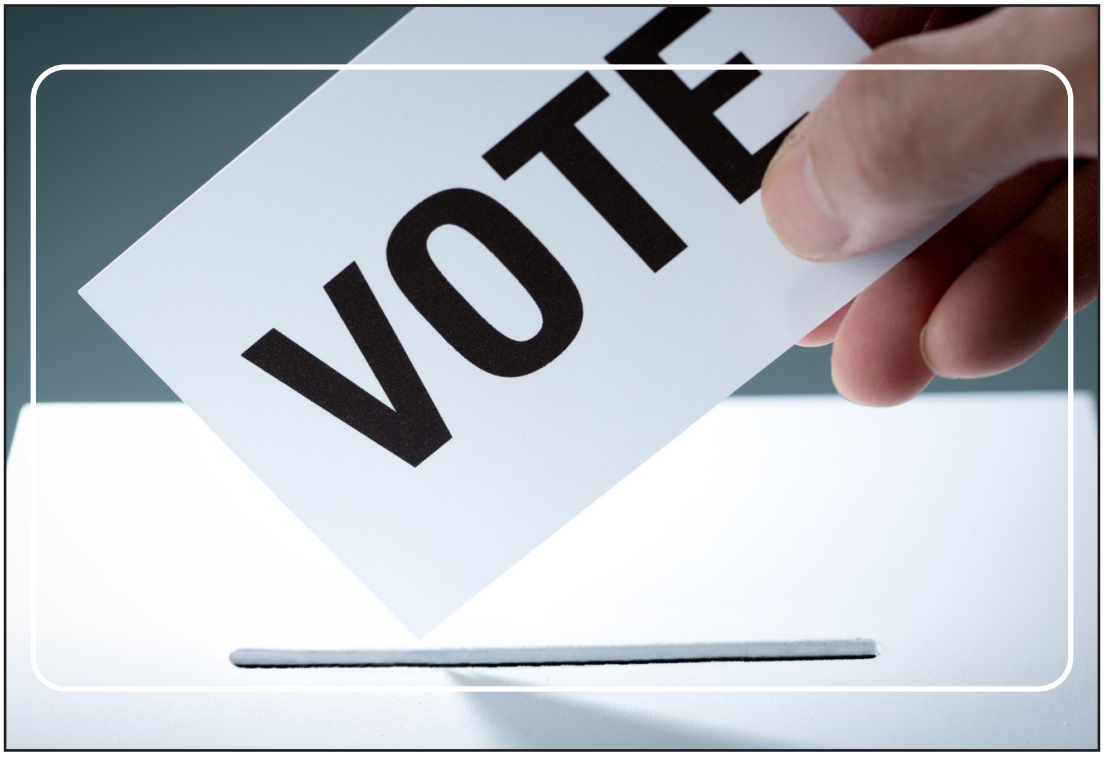

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

التصويت البريدي وزيادة المشاركة الانتخابية: التجارب الناجحة والدروس المستفادة عراقياً

عبد العزيز عليوي العيساوي *

مقدمة:

ذهبت بعض الدول باتجاه التصويت البريدي لزيادة المشاركة الانتخابية، وتجاوز العقبات التي تظهر في يوم الاقتراع، ومن بين تلك الدول الولايات المتحدة الأميركية التي تُصنف ضمن الديمقراطيات الراسخة، وكذلك دول أخرى كسويسرا وكندا وإستونيا وغيرها من الدول التي تعتقد أن اتباع هذا النوع من التصويت يمكن أن يساهم في زيادة إقبال الناخبين في يوم الاقتراع، وبالتالي، تحقيق نسبة مشاركة مقبولة. كما توجد أسباب أخرى لاتباع أسلوب التصويت بالبريد مثل فسح المجال أمام ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن للتصويت عن طريق إرسال ورقة الاقتراع عن طريق البريد لتتم إعادتها إلى صندوق الاقتراع بعد التصويت عليها.

وما دامت التجربة الانتخابية الديمقراطية بالعراق في طور النشوء، فإن الاطلاع على تجارب الآخرين يعد أمراً ضرورياً للاستفادة مما يمكن تطبيقه عراقياً، ولما كان التصويت البريدي قد طبق في ديمقراطيتين مهمتين تصنف الأولى على أنها نموذج النظام الرئاسي وهي الولايات المتحدة الأميركية، وكذلك سويسرا التي تطبق نظام الجمعية الذي ما زال حتى اليوم يدرس في عدد كبير من الدول بينها العراق على أنه أحد أنواع الأنظمة التي تأتي عن طريق الانتخابات، فأن الاطلاع على التجربتين والمحاولات الأخرى للتصويت عبر البريد لن يكون ضاراً، بل قد يكون نافعاً في حال توفرت مقومات تطبيقه في العراق الذي يعاني من تراجع ملحوظ في نسبة المشاركة بالانتخابات.

أولاً: الانتخاب والتصويت البريدي

بدأت الدراسات الانتخابية تحتل مكاناً مهماً من الناحيتين السياسية والدستورية مع بداية القرن العشرين بعد أن تبين ما لهذه الدراسات من تأثير واسع وعميق على المؤسسة الديمقراطية بكافة أشكالها وآلياتها، كونها الوسيلة التي تمكن الشعب من اختيار نواب عنه بشكل دوري، يتصرفون باسمه ويديرون شؤونه ويمارسون سلطاته على صور متعددة من صور الممارسة. وبالتالي،

* باحث.

فإن الانتخابات تمثل حق الاختيار على نحوٍ تتسابق فيه الأحزاب المؤهلة لتلك الممارسة، ويشمل الانتخاب، انتخابات رئيس الدولة، والانتخابات التشريعية، والاستفتاء.

والمعروف عن الانتخاب أنه يمكن أن يكون مباشراً أو غير مباشر، فردي أو بالقائمة، انتخاب بالأغلبية أو بالتمثيل النسبي أو بالنظام المختلط في ظل وجود عدد كبير من الأنظمة والقوانين الانتخابية المتنوعة التي يجري تصنيفها استناداً إلى كيفية عمل كل منها على ترجمة الأصوات التي تفوز بها كل فئة مشاركة في الانتخابات إلى مقاعد من الهيئة التشريعية، إذ لا يمكن للانتخابات أن تجري في أية دولة قبل أن تحصل على الإطار الدستوري والقانوني، فالدستور يجب أن يكون داعماً في نصوصه للانتخابات الديمقراطية الحرة النزيهة، ويتيح أيضاً المساحة لتشريع قوانين تنظيم العملية الانتخابية، كل ذلك يجري ضمن تفاعلات النظم الانتخابية المتعددة.

ولما كانت الدساتير وخصوصاً في الدول المتقدمة ديمقراطياً قد منحت حق الانتخاب إلى جميع الأفراد دون تمييز، ذهبت بعض الدول باتجاه ابتكار أساليب تتيح للفئات التي تعجز عن الوصول إلى مراكز الاقتراع فرصة التصويت في الانتخابات وذلك عن طريق التصويت البريدي الذي أتاح إرسال ورقة الاقتراع إلى هذه الفئات ليقوم الناخبون بالتأشير عليها وفقاً لتعليمات محددة قبل إعادة إرسالها مجدداً.

وتختلف تسمية التصويت عبر البريد من دولة إلى أخرى، إذ يطلق عليه أحياناً التصويت عن بعد، وأحياناً أخرى يسمى التصويت الغيابي.

وأظهرت دراسات متخصصة أن التصويت البريدي يؤدي إلى زيادة واضحة في نسبة التصويت بالانتخابات، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود محاولات لاختراق هذا النوع من التصويت، ومن خلال التجربة، فإن حالات التزوير التي رافقت التصويت عبر البريد كانت على نطاق محدود.

ثانياً: تجارب ناجحة في التصويت البريدي

على الرغم من هذا النوع من التصويت كان قد طبق في الولايات المتحدة الأميركية منذ زمن طويل، إلا أن الكثيرين ما زالوا لا يعلمون عنه إلا القليل، لا سيما في الدول حديثة العهد بالديمقراطية.

وللإحاطة بالحد الأدنى من المعلومات المتعلقة بالتصويت البريدي لا بد من ذكر تجارب بعض الدول في هذا المجال.

وتعد الولايات المتحدة الأميركية أول من طبق التصويت عبر البريد بعدما لجأت إليه على سبيل الاضطرار خلال الحرب الأهلية نهاية القرن التاسع عشر من أجل السماح لعناصر الجيش التصويت بعد أن منعتهم الظروف في حينها من الوصول إلى مراكز الاقتراع.

بعد ذلك سمحت القوانين الأميركية بالتصويت عبر البريد لفئات أخرى واتسع نطاق هذا النوع من التصويت الذي يُعرف في الولايات المتحدة بالتصويت الغيابي حتى بلغ ذروته خلال جائحة كورونا التي شهدت إجراء الانتخابات الرئاسية عام 2020 التي فاز فيها جو بايدن مستفيداً من التصويت البريدي.

ويقوم الناخب الأميركي الذي تصله ورقة الاقتراع عبر البريد بوضع علامة بجانب اسم المرشح الذي يختاره، ووضع الورقة في ظرف خاص يكون مصاحباً لها ثم يغلق الظرف ويوقع ويكتب تاريخ التصويت.

يباشر الناخب عملية التصويت بالبريد بوضع علامة بجانب المرشح المختار على ورقة الاقتراع أو كتابة اسم المرشح، ووضع الورقة في الظرف المصاحب لها، ثم يغلق الظرف ويوقع على ظهره ويكتب تاريخ التصويت.

وشهدت الولايات المتحدة خلال السنوات الأخيرة تصاعداً في تأييد التصويت البريدي، وعام 2020 أظهر استطلاع رأي أجرته أن بي سي نيوز وول ستريت جورنال أن (58%) من الناخبين الأميركيين يؤيدون إتاحة التصويت بالبريد لجميع الناخبين في الولايات المتحدة الأميركية.

ويوجد في سويسرا أكبر سجل للتصويت عبر البريد في العالم؛ لأن ناخبيها يصوتون مرات عديدة خلال العام، إلا أن التصويت بالبريد في سويسرا أحدث بكثير إذا ما قورن بالتصويت الغيابي في الولايات المتحدة الأميركية، ويعود التصويت البريدي في سويسرا إلى السنوات التي تلت منح النساء حق التصويت على المستوى الفيدرالي في سبعينيات القرن الماضي، وفي البدء كان لا يسمح سوى للمرضى بإرسال أصواتهم عبر البريد، لكن في التسعينيات من القرن العشرين فتحت مبادرة برلمانية الباب أمام عملية تصويت بريدية أكثر اتساعاً، وعام 2006 اتخذت سويسرا إجراءات

أكثر صرامة للحد من احتمالات التلاعب بالتصويت البريدي عن طريق إرسال تعميم إلى جميع الكانتونات بأن تحتوي جميع مغلفات التصويت البريدية على إخلاء مسؤولية يقول: «يجب على أي شخص لا يرغب في ممارسة حقه في التصويت تمزيق بطاقة الاقتراع الخاصة به قبل التخلص منها»، ووفقاً لتقارير سويسرية فإن اعتماد التصويت بواسطة البريد ساهم في زيادة متوسط إقبال الناخبين بنسبة (15٪) على الصعيد الوطني وضاعف نسبة المشاركة في الاقتراعات في كانتون جنيف[1].

أما كندا فقد وجدت نفسها بحاجة إلى استمرار العمل بالتصويت البريدي بعد اعتياد كثير من الناخبين عليه، وأصبح هذا النوع من التصويت يحظى بشعبية واسعة في كندا لما له من ميزات تحفظ حق التصويت لمن تحول الظروف دون حضوره إلى مراكز الاقتراع بشكل شخصي، وتصاعدت شعبية التصويت البريدي في كندا في الانتخابات الفدرالية التي جرت في أيلول 2021 إذ سجل نحو مليون ناخب طلبات تؤكد رغبتهم التصويت عبر البريد في رقم قياسي منذ بدء الانتخاب بالبريد في كندا عام 1993، وعلى الرغم من أن التصويت الشخصي سهل في كندا، إلا أن التصويت البريدي ليس معقداً بحسب المتحدث باسم هيئة الانتخابات الكندية بيار بيلون الذي قال: «إن الناخب يمكن أن يسجل موقع هيئة الانتخابات الكندية الإلكتروني، أو عبر الهاتف، وعليه أن يعطي اسمه وعنوان سكنه واتباع التعليمات الواردة على بطاقة الاقتراع عندما يتلقاها بالبريد، وملء المعلومات المطلوبة وإعادتها إلى هيئة الانتخابات في رسالة بالبريد مدفوعة مسبقاً، ويستحيل على الناخب الذي أنهى تسجيل اسمه للتصويت عبر البريد الإلكتروني أن يتراجع عن موقفه، ولا يعود بإمكانه التصويت شخصياً أو المشاركة في التصويت المبكر، ويتم شطب اسمه من لوائح الانتخابات بعد أن يكمل طلب التصويت عبر البريد لتجنب ازدواجية التصويت»[2].

1. نادراً ما يكون التصويت عن طريق البريد سهلاً.. لماذا؟، موقع swissinfo، على الرابط:
https://www.swissinfo.ch/ara

2. كندا: مهلة التصويت عبر البريد في الانتخابات التشريعيّة تنتهي اليوم، موقع راديو كندا، على الرابط:
https://ici.radio-canada.ca

ثالثاً: المزايا والعيوب

على الرغم من محدودية اتباع التصويت عبر البريد مقارنةً بالدول التي تتبع التصويت الشخصي حصراً، إلا أن الدول التي طبقته تتحدث عن إسهامه بشكل مباشر في زيادة نسبة المشاركة في الانتخابات، غير أن ذلك لا يعني أن هذا النوع خالٍ تماماً من العيوب، ويمكن بيان أهم مزياه وعيوبه عن طريق الجدول الآتي:

مزايا وعيوب التصويت البريدي

المزايا	العيوب
1-رفع نسبة المشاركة	1-محدودية التجربة
2-ضمان حق التصويت للجميع	2- عدم ثقة كثير من الدول بالتصويت البريدي
3- الحد من حالات المقاطعة الانتخابية	3- الاعتقاد بأن هذا النوع من التصويت معقد
4- تصويت مضمون للمرضى والمعاقين	4- الخشية من التلاعب والتزوير
5- توفير فرصة أكبر لتصويت السجناء	5- ضرورة توفر قاعدة بيانات واسعة تشمل جميع الناخبين
6- ضمان فرصة لتصويت المكلفين بواجبات في يوم الاقتراع	6- احتمال تعرض التصويت بالبريد للطعن كونه خارج السياقات المألوفة
7- تحفيز فئة الناخبين الكسالى على التصويت	
8- المساهمة في حسم النتائج وقلبها أحيانا كما سبق أن حدث في الولايات المتحدة	

من إعداد الباحث

رابعاً: فرص التطبيق عراقياً

لم يكن الحديث عن تطبيق آلية سانت ليغو وارداً في أول تجربة انتخابية عام 2005، إلا أن هذه الآلية طبقت منذ 2014 ويستعد العراق لتطبيقها مجدداً في الانتخابات المحلية المقرر أن تجري نهاية العام الحالي، كما أن الحديث عن الدوائر المتعددة بين عامي 2005 و2018 كان ضرباً من الخيال، غير أن هذه الآلية التي تعرف بـ «الصوت الواحد المتحول» طُبقت فعلاً في انتخابات مجلس النواب 2021.

ما تقدم يعني أن العمليات الانتخابية في العراق تجري ضمن ديمقراطية ناشئة عمرها عقدان فقط، وإن التغيير في آليات الانتخاب واردة في أي لحظة شريطة أن يتناسب التحديث والتغيير مع الحالة العراقية.

وفيما يتعلق بالتصويت البريدي، فإن الحديث عن تطبيقه في العراق قد يبدو غريباً للوهلة الأولى، إلا أن الغرابة يمكن أن تزول إذا ما جرى الحديث عن ضرورة الاستفادة من التجارب العالمية في هذا المجال من أجل إنقاذ نسبة المشاركة في الانتخابات العراقية التي تواصل التدني من تجربة انتخابية إلى أخرى.

بعد الاطلاع على تجارب الدول الأخرى يتضح أن الذهاب باتجاه تجربة التصويت البريدي في العراق لا يمكن أن يتم ما لم تسبقه خطوات أخرى مهمة ليكون على مراحل كالآتي:

المرحلة الأولى: الانتهاء من إجراء التعداد السكاني لتكون هناك إحصائية دقيقة لعدد الناخبين الذين يحق لهم التصويت.

المرحلة الثانية: إن وجود تعداد للسكان يمكن أن يؤدي إلى تحديد أعداد الفئات التي يمكن شمولها بهذا النوع من التصويت.

المرحلة الثالثة: يمكن التركيز على فئات محددة لشمولها بالتصويت البريدي وهي المرضى والراقدين في المستشفيات وذوي الإعاقة والسجناء من أجل رفع نسبة المشاركة، والثانية تخليص هذه الفئات من الحرج الذي يمكن أن يتعرضوا له إذا صوتوا بمساعدة آخرين، إذ أن المرضى وذوي الإعاقة مثلاً قد يحتاجون إلى من يوصلهم إلى مراكز الاقتراع في يوم التصويت وهذا الأمر قد يؤثر في خياراتهم.

المرحلة الرابعة: يمكن استهداف هذه الفئات عن طريق ورقة اقتراع وظرف يوم الناخب بوضع إشارة أمام القائمة أو المرشح ثم يضع الورقة في الظرف لتقوم بعدها اللجنة المعنية بوضع الظرف في صندوق خاص يكون تحت رقابة أكثر من طرف معني بالإشراف على هذه العملية.

الخاتمة

لا يمكن الجزم بأن تطبيق التصويت البريدي في العراق سيكون مشابهاً لم يتم العمل به في الولايات المتحدة الأميركية وسويسرا ودول أخرى لأن هذا الأمر ليس سهلاً، كما لا توجد ضمانات بنجاح هذا النوع من التصويت، إلا أن تراجع نسبة المشاركة الانتخابية تُحتم البحث عن حلول سواء كانت قصيرة أم طويلة الأمد بالاستفادة من التجارب الناجحة للآخرين، إذ يمكن التفكير بتطبيقه على نحو ضيق على المرضى والسجناء وفئات أخرى محدودة تحت رقابة مشددة ثم تقييم هذه التجربة لاحقاً لتطوير إيجابياتها وتلافي سلبياتها. ومن شأن ذلك في حال النجاح أن يساهم بشكل مباشر في زيادة نسبة المشاركة في العملية الانتخابية على المستويين المتوسط والبعيد إذا لم يكن على المستوى القصير، شريطة أن تكون هذه التجربة مصحوبة بإحصائيات دقيقة وكوادر مدربة ورقابة صارمة من قبل الجهات المعنية بتسيير شؤون الانتخابات.